التسامح والآخر في منهج الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في كتاب تحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحراني

الأستاذ المساعد الدكتور حيدر زوين
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب
haider.ha.zwain@gmail.com

Tolerance and the other in the approach of Imam Ali bin Musa Al-Ridha (peace be upon him) In the book Masterpieces of Minds on the Prophet's Family by Ibn Shu'bah al-Harani

Assistant Professor Dr. Haider Zwain
University of Kufa , College of Arts

الملخص:-

لقد وجدنا في كتاب تحف العقول أن للتسامح والآخر مكانة كبيرة في منهج الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام، إذ دعا إلى التحلي بها، وأمر أتباعه بالتخلق بروح التسامح وعدم إلغاء الآخر بين فئات المجتمع، ومكوناته حتى يعيش الناس في محبة ووئام وانسجام إننا اليوم بحاجة ماسة، وشديدة إلى روح التسامح والإيمان بالآخر لبناء مجتمع بشري متقدم، وفي سيرة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، الشواهد والأمثلة التي تدل على تسامحه وعفوه وإيمانه بالآخر.

الكلمات المفتاحية: الإمام الرضا، منهج أهل البيت، التسامح، الآخر، إبن شعبة الحراني، كتاب تحف العقول، التعصب والكراهية.

Abstract:-

We have found in the Encyclopedia of Tuhf Al-Aqoul that tolerance and the other have a great place in the approach of Imam Al- Ridha (peace be upon him), as he called for it to be displayed and ordered his followers to create a spirit of tolerance and not to eliminate the other among the groups and components of society so that people live in love, harmony and harmony. And intense to the spirit of tolerance and faith in the other to build an advanced human society, and in the biography of Imam ali bin mosa al- Ridha (peace be upon him), the evidence and examples that indicate his tolerance, forgiveness and belief in the other, and this is what we will address in our humble research.

Keywords: Imam Reza, Ahl al-Bayt method, tolerance, the other, son of Shu'bah al-Harani, mind masterpieces book, Intolerance and hatred.

المقدمة:

من خلال دراستنا منهج الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ومنهج أهل البيت عليهم السلام، نقرأ طبيعة التسامح والإيمان بالآخر، إذ قدموا عبر التاريخ عطاءً: (ثقافيا، وعقائديا، وفكرياً، وثقافياً) ثرا في هذا المجال؛ فهم امتداد لثقافة الرسول الانسانية محمد صلى الله عليه وآله المؤمنة بالتسامح وقبول الآخر، وهم عدل القرآن والموعظة الحسنة وهذا المنهج بحاجة إلى دراسة معمقة.

ولأن الناس يختلفون في طبيعتهم وفي تباين وجهات نظرهم، في القضايا: (الدينية، والاجتماعية، والفكرية)؛ فهم بحاجة ماسة إلى التسامح والإيمان بالآخر، كقيمة انسانية وأخلاقية وإسلامية، وكحل عقلاني تفرضه الظروف، لإيجاد صيغ متينة للتعايش والإيمان بالآخر، بعيداً عن روح التعصب والالغاء والكراهية أو الإقصاء والعنف ضد المختلف، وأن إسلامنا المحمدي يؤمن بالتسامح لا يلغى الاخر، ولا يحظر وجود المشارب الأخرى، بل وضع ضوابط، وقوانين لحماية الآخر، والتعامل معه بروح التسامح والمحبة في إطار المجتمع المسلم.

لقد وجدنا في كتاب تحف العقول أن للتسامح والآخر مكانة كبيرة في منهج الامام الرضا عليه السلام، إذ دعا إلى التحلي بها، وأمر أتباعه بالتخلق بروح التسامح وعدم إلغاء الآخر بين فئات المجتمع، ومكوناته حتى يعيش الناس في محبة ووئام وانسجام إننا اليوم بحاجة ماسة، وشديدة إلى روح التسامح والإيمان بالآخر لبناء مجتمع بشري متقدم، وفي سيرة الإمام الرضا عليه السلام،الشواهد والأمثلة التي تدل على تسامحه وعفوه وإيمانه بالآخر.

المحور الأول

التسامح والآخر في منهج أهل البيت عليهم السلام

ظهر مفهوم التسامح والإيمان بالآخر بشكل واضح في نهاية القرن السابع عشر الميلادي؛ بسبب الصراعات؛ و تداعيات الحروب بين الاديان المذاهب والقوميات، والاتجاهات الفكرية المختلفة التي شهدتها العالم وبشكل خاص أوروبا، ومن أجل التوصل إلى رؤى وتفاهمات تضمن حرية حقوق الإنسان في تلك الحقبة، وأيضا السماح بالتعبير، وسماعِ الرأي الآخر بشكل متساو لجميع أفراد الشعب، وذلك بعد التخلص من سلطة الكنيسة، وإنهاء دور المؤسسة الدينية ودور رجل الدين في الحياة السياسية إذ اكتسب مفهوم

التسامح، والإيمان بالآخر بعداً آخر متفهما للعقائد والأفكار، التي تسمح بالتعايش السلمي إيجابيا، وكان يراد بالرؤى والاتجاهات المختلفة بعيداً عن الاحتراب والإقصاء، على أساس شرعية الآخر والسماح بالتعايش بعيداً عن الاحتراب والإقصاء، وعلى أساس شرعية الآخر وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته(١).

المجتمعات الاسلامية في الأغلب تنطوي على درجة عالية جدا من التوحد والتباين، يتجلى ذلك بوضوح إن العدد الكبير من الأجناس والأديان والأعراق، والطوائف، والمذاهب التي تؤمن بقيم توحيد المجتمعات الإسلامية، وبدوافع إنسانية نابعة من قيم هذه الاتجاهات وأعرافها ومعتقداتها، و ثقافاتها المختلفة والمتنوعة، وان أغلب أعضاء هذه الجماعات والمكونات يسعون للعيش بوئام؛ وصولا لتحقيق سلام دائم يلبي مصالحهم ، وطموحاتهم، ومن المؤكد أن المشتركات التي تجمعهم هي أكثر من المشتركات التي تفرقهم، وأن هدف اسلامنا المحمدي ونهج أهل البيت: هو السعي إلى بناء مجتمعات تعلم فيها ثقافات الحوار والتنوع والتسامح والآخر، وأن غياب هذه الثقافات كانت دائما السبب الرئيس في كثير من مشاكلنا الدينية والاجتماعية وحتى السياسية، لكن اسلامنا المحمدي وفكر أهل البيت عليهم السلام، انماز بشمولية مستوعبة وحركية فعالة، إذ استطاعت من التأثير في المجتمعات الانسانية والأحداث المتعاقبة بقوة هذا المنطق الذي يتماشى مع آفاق الحياة ويبني ويحدد شؤون الدولة والمجتمع والدولة، ويحدد المواقف من كل قضية ويقدم الحلول الناجعة لكل مشكلة مطروحة في هذا السياق، وأن التسامح والآخر يمثل قيمته في كونه إرهاصاً لإقامة مجتمع مدني، والاعتراف بوجود شخص مخالف فرداً كان او جماعة، ويعترف بشرعية ما لهذا الغير من وجهة نظر ذاتية في الاعتقاد والتصور والممارسة تخالف ما يرتئيه شكلاً ومضموناً(٢).

إن الحاجة إلى التسامح والآخر اليوم هو الذي جعل الحياة حياةً متجددة، و لكي تسير الحياة في مساراتها الانسانية التاريخية الطويلة وتشابك الأهداف والمصالح، بين الشعوب الإنسانية نتيجة للثورة المعلوماتية والمعرفة، ووفرة المواصلات، الاتصالات، جعل التسامح والتعايش، والآخر، من الضرورات التي لابد منها؛ لتحقيق أهداف ومصالح المجتمعات من دون استثناء، علما التسامح والايمان بالآخر يرتبط بحقوق الإنسان، ومساواة الجميع أمام القانون، والتنظيم وقبول رأي الأقلية، كما أن التسامح والآخر هو العلاج الشافي للقضاء

عل التعصب، وقد جاء في تعريفهما: هما كلمة دارجة تستعمل للإشارة إلى الممارسات، الجماعية كانت أو الفردية، تقضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء)[٣].

لقد كان لإسلامنا المحمدي وفكر اهل البيت عليهم السلام ومازال منهجاً للتسامح والآخر، وطريقا للهداية العقيدية بمقابل منهج الظلم، والقهر، وهو الأنموذج الأمثل الذي أراده رب العزة للعرب وللمسلمين والإنسانية، كأسلوب بناء وتربية وتضامن وتعامل جماعي لاستيعاب العالم، وبه فضل الإنسان والإنسانية على الآخرين، وأن هذا الأنموذج ليس سلطة قهرية بديلة تستمد شرعيتها بعيدا عن الدين؛ لكن هي مجرد أفكار الغرض منها استنهاض لمشاعر الرحمة والإيمان، والمودة والتسامح والآخر والتعايش عند كل فرد، كما انها: روحه وقابليته للتضحية الخالصة ووعيه وخليفةً الله على هذه الأرض وبعضاً من قبسه ونوره، ومن ثم الفناء في سبيل الله تعالى[٤].

إن التسامح والآخر يعد اليوم من أكثر المواضيع اهمية وجدلا، بسبب كثرة الخلافات الدينية والفكرية والسياسية، التي تسببت في انتشار العنف والارهاب الحروب، ولهذا نادى اهل البيت عليهم السلام إلى التسامح الديني والإيمان بالآخر، وكان لهم تأثير واضح في المجتمعات الانسانية، وأن غياب التسامح والالغاء تسبب في مقتل الاف من البشر في القرن المعاصر، لهذا صار التسامح والآخر هي حاجة ملحة، كما اقتضت حكمة الخلق في الإنسان ان يكون بحاجة الى الآخر كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات:١٣، فخلقنا الله شعوباً وقبائلا من اجعل حاجة الانسان الى الإنسان، وان حاجة إنسانية ملحة تتصف بها الأمم، كما إن لجوء الانسان الى اهله وجيرانه وأقربائه والى بني وطنه، هي صمام الأمان الانساني ومصدر للألفة والتآلف وحب التودد والرفقة والعشرة[٥].

لقد كانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام عنوانا في التسامح والإيمان بالآخر وحسن التعامل، وقد تجسد ذلك بشكل جلي في فتح مكة؛ فلولا حكمة تعامل رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وله وسلم، مع الأعداء ومخالفيه لسفك دماء غزيرة ولؤخذت الثارات كبيرة، ثارت فتن وعم والهرج والمرج في مكة؛ لكن عندما قرأ الرسول محمد (صلى الله عليه واله،

وسلم)، قلوب الصحابة ودوافعهم من أجل الانتقام بادر انطلاقاً من المبادئ الانسانية الأخلاقية الإسلامية، الى رفع شعار ((أدفع السيئة بالحسنة)) وقوله المشهور ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))،فبدل الشعار الانتقامي بشعار آخر نقيض يفيض تسامحا وإيمانا بالآخر، واحساناً ورحمة وكرامة هو ((اليوم يوم المرحمة اليوم أعز اللهُ قريشاُ))،لقد أحدث هذا الموقف تغييرا عظيما في أفكار أهل مكة، فبدءوا يدخلون الى دين الرحمة والتسامح والآخر أفواجاً، ويعد فتحاً عظيماً في المعيار السياسي وإنجازاً كبيراً في قاموس الحركات الاجتماعية في ذلك العصر المظلم(٦).

أما مواقف أسد الإسلام وقديسه الإمام علي عليه السلام، في التسامح مع الآخر والعفو عن أعدائه، وظالميه فهي من الصعوبة أن تعدُ ولا تحصى، فقد سار على خطى ابن عمهُ رسول الإنسانية محمد(صلى الله عليه واله، وسلم)، في هذا المجال، ومن كراماته وتسامحه وألطافه، عندما عفا عن جيش معاوية بن أبي سفيان حينما أحاطوا بشريعة الفرات في معركة صفين، ومنعوا جيش علي بن أبي طالب عليه السلام من الماء بأمر كبار رجالات معاوية، وعندما سألهم الإمام علي عليه السلام أن يسوغوا لهم شرب الماء قالوا: لا والله لا قطرة حتى تموتوا عطاشى، هذا الأمر دفع الإمام علي عليه السلام،ان يقوم بحملات كثيفة حتى أزالهم عن مواقعهم وسيطر على ماء الفرات، بعد قتال شرس ومرير وصار أصحاب معاوية لا ماء لهم، فقال أصحاب الإمام يا أمير المؤمنين امنعهم حتى يموتوا عطشا كما منعوك، وبذلك لا حاجة لك بالحرب، فقال عليه السلام: ((لا والله لا أكافئهم بمثل فعلتهم أفسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي حد السيف ما يكفي عن ذلك))(٧).

أي تسامح عظيم هذا وأي إيمان بالآخر هذا والذي قل نظيرة اليوم.

لقد جاء في منهج أهل البيت عليهم السلام وسلوكهم، كثير ممّا يحثّ على والتسامح والإيمان؛ فمنها بيان الآثار العظيمة للتسامح والإيمان بالآخر، في الدنيا والآخرة نذكر بإيجاز منها:

١- إن التسامح والإيمان بالآخر يطول العمر ويعز الإنسان ويجعل له منزلة عند الله في الدنيا والآخرة؛ لقول رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله: ((من كثر عفوه مدّ في عمره)) وقوله: ((العفو لا يزيد العبد إلّا عزّاً فاعفوا يعزّكم الله))(٨).

٢- يحافظ التسامح والإيمان بالآخر على بقاء مُلك الإنسان، وديمومته، كما يساعد على الوقاية من طوارق الحدثان من سوء الأقدار وكر الجديدين؛ لقول الرسول صلى الله عليه وآله:((تجاوزوا عن عثرات الخاطئين يقيكم الله بذلك سوء الأقدار))[٩].

٣- يشعرك التسامح والإيمان بالآخر بالسعادة وراحة البال ويجلب لك محبة الآخرين، وينصرك على أعدائك، ومبغضيك فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:((ما التقت فئتان قطّ إلّا نُصر أعظمهما عفواً))[١٠].

وهذه روايات عن التسامح والآخر هي جامعة؛ لبيان مقام العفو والتسامح والآخر عند أهل البيت، والمتابع لسنتهم وأقوالهم، وسيرتهم عليهم السلام يجد ما هو أكثر وأكثر من ذلك، لا سيّما ما ورد حول قصّة الإمام السجّاد عليه السلام مع تلك الجارية التي شجّت رأسه، فقابل ذلك بالتدرّج معها وهي تتدرّج بذكر الآيات فمنحها كظم الغيظ، ثمّ عفا عنها ثمّ أحسن إليها إذ قام بعتقها من الرق، وهذا الأمر مصداقا لقول الإمام الصادق عليه السلام: ((إنا أهل بيت مروّتنا العفو عمّن ظلمنا))[١١].

تميزت تجربة أهل البيت عليهم السلام وخلافاً لبقية أفراد المجتمع المسلم، بأنهم قد أسسوا لمبدأ التسامح والإيمان بالآخر، في واقع الحياة الاجتماعية كجماعات، وكأفراد من المجتمع الإسلامي، فقد مارسوا فكرة التسامح والآخر في حياتهم اليومية وبشكل أكثر عمقاً، وأسسوا مفهوم التسامح في أثناء حياتهم اليومية؛ لتصبح تجربتهم هي المثال الملهم التي يحلم بها جميع أبناء المجتمع الإسلامي الانساني، والحق أن مفردة التسامح والآخر لا تعبر بشكل كاف وحقيقي عن جوهر المبادئ، التي جاء بها القرآن الكريم نشرها جدهم الرسول محمد صلى الله عليه وآله، فالتسامح والآخر عند أهل البيت عليهم السلام، مبدأ لا يقتضي العدالة، يعبر في أحسن الأحوال عن التعايش والتسامح وتقبل الآخر من ضمن حدود مقبولة، وإنما هو ترسيخ للمساواة بين أبناء الجنس البشري، وإن هذا المبدأ الأخلاقي الذي سار عليه أهل البيت عليهم السلام يكشف لنا حدود المبادئ الإنسانية التي كانوا يدعون لها ويطبقونها بنفسهم، وهي مبادئ لا نجد لها ما يقابلها اليوم وللأسف، خصوصاً بين أبناء المجتمع الإسلامي المعاصر.

إن كثير من المسلمين اليوم وفي ظل هيمنة دول الاستكبار العالمي، على مقاليد العالم يتعاملون مع أبناء الأقليات الدينية والقومية الأخرى من موقع الكره والحقد وهذا الأمر لا

يقره الإسلام المحمدي، الذي بني أصلاً على قاعدة الاختلاف لا يفسد في الود قضية، وإن قاعدة الاختلاف لا تنفي حقيقة اشتراك البشر في المبدأ الإنساني العام، مصداقا لقول الإمام علي عليه السلام: ((الناس صنفان، أما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق))[١٢].

المحور الثاني

التسامح والآخر في منهج الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام

إن التسامح والإيمان بالآخر في منهج الإسلام المحمدي يشكل ثقافة اصيلة متكاملة، لها ابعادها ومجالاتها وقيمها ومظاهرها، كما انه أسس منهجية متكاملة من خلالها يتجذّر هذا المفهوم، وسنستعرض في هذا الورقة رؤى الامام للتسامح والآخر، من خلال تواضعه، وايمانه بالحرية والاختلاف، والمساواة والتعددية ومكانة الحوار وغيرها، وفي سيرة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام كثير من المواقف، التي تدل على تمسكه بروح التسامح والإيمان بالآخر، ويمكن أن نقف على بعض صور تسامحه وإيمانه بالآخر، والذي له صور متعددة أساسها المبادئ المتجذرة في فكر اهل البيت عليهم السلام، وتصلح منطلقاً لإصلاحات دينية لانزال ننتظرها، ولخطاب ديني منفتح لانزال نتطلع إليه[١٣].

وقد تجسّدت صور التسامح والإيمان بالآخر عند الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام بعدة ركائز من أهمها:-

١ـ ركيزة المساواة:

قال الامام الرضا: ((استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النعمة)).

وقال أيضاً ((التودد إلى الناس نصف العقل))[١٤]، كان الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام لا يفرق بين فقير وغني، فكل الناس عنده هم سواسية كأسنان المشط، وكان يؤمن ان تقديم الإسلام المساواة بوصفها اهم مشترك إنساني، لأن البشر جميعا كرّمهم الله عز وجل ولم يفرق الله بينهم الا بالتقوى، ولهذا فإن المساواة الإنسانية سابقة في التصوّر والوجود على المساوات الإيمانية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات:١٣، ان المساواة والعدالة أكبر مصداقٍ للنظم، وهي دليل واضح على التسامح والإيمان بالآخر، وقد جاء الإسلام

بهذه بفكرة العدالة والمساواة يوم كان الظلم هي الحالة السائدة في الجزيرة العربية، ومع بزوغ فجر الاسلام، وانتصاره ظهرت المساواة، والعدالة بأسمى صورها، إذ أوجد الاسلام نظاماً للعدالة والمساواة وحقوق الانسان، وأقاموا دولتهم على أساس مِن العدالة والمساواة واحترام الإنسان ونبذ الظلم، ونشروا العلم والمعرفة لتعزيز المساواة، والعدالة الاجتماعية، فسادت المنضبطة، في سائر أرجاء البلاد الاسلامية ايام دولة الرسول محمد صلى الله عليه وآله؛ بفضل الحث المتواصل عليها، وبفضل مبدأ المساواة والعدالة استطاع المسلمون أن يكتسحوا العالم، ويوصلوا الإسلام إلى آخر بقعةٍ مِن بقاع الأرض؛ فالمساواة والعدالة هي أساس نشر التسامح والإيمان بالآخر، وتؤدي العدالة دور العصا في تنظيم المجتمع فوق حبل الحياة القاسية، فهما السبيل إلى للصلاح والموازنة، فكلما مال الجسم إلى جهة أسعفه العدل في الجهة المقابلة، وهكذا حتى يستقيم المجتمع. يقول أمير المؤمنين عليه السلام:((حسن العدل نظام البرية))[١٥].

٢ـ ركيزة السماحة والحوار واحترام آراء الناس:

فقد كان عليه السلام يحب الناس ويتودد لهم وكان قمة في التسامح والإيمان بالآخر وسماع الرأي، يقول إبراهيم بن العباس الصولي:((ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحداً بكلمة قط، ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، ومن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه))[١٦]،السماحة واحترام اراء الناس والحوار، واجب ديني وضرورة أخلاقية وإنسانية تحتمها الظروف، وليس أمرا موسميا، ولهذا أمر به الباري عز وجل، فقد ورد في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت؛٣٤، وبالحوار واحترام الآراء والتسامح والإيمان بالآخر يتحقّق التعارف والتعريف والاحترام، وهذا الأمر هو مفتاح لحل مشاكل المجتمعات، وان الحوار واحترام الآراء يبحث عن المشتركات وعن الحل الوسط الذي يضمن مصالح الآخرين، وتحويل العنف إلى سلم،، ولهذا أقر الإسلام المحمدي احترام الآراء والحوار والسماحة مع الآخر، للوصول إلى الحلول التوفيقية التي تراعي مصالح الشعوب، على وفق موازين المصالح والمفاسد المعتبرة، كما أن الحوار واحترام الآراء يُوصل إلى تعزز ثقافة التسامح وقبول الآخر في النفوس، وهكذا يكون احترام الآراء والحوار وإبداء الرأي حق أساسي للرعية في أمورهم، وربما يكون واجبا من واجباتهم تجاه الراعي[١٧].

٣ـ ركيزة الحلم والورع:ـ

لقد اختبر المأمون أحوال البيت العلوي والبيت العباسي، فلم ير فيهما، أحلم وأصلح ولا أفضل ولا اروع ولا أدب من علي بن موسى الرضا عليه السلام[١٨]، الحلم والورع من أحسن السجايا وأنفع الأعمال، في جلب (الألفة، والمودة، والمحبة)، وهو من الركائز المهمة نشر مفهوم التسامح والإيمان بالآخر، وقد ذكر القرآن الكريم الحلم في أكثر من عشرين مرة في سور متعددة، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ال عمران:١٣٤، وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان:٦٣، وغيرها من الآيات، وقد ورد في كتاب تحف العقول عن ال الرسول لابن شعبة الحراني: سأل شخص أحد الأئمة عليه السلام: ما الحلم؟ قال: (كظم الغيظ وملك النفس)، أي أن يسيطر الإنسان على نفسه، وسلوكه في وقت الشدة والشجار وعدم الحقد على الآخرين، وحينما يواجه الآخر بتصرف مستفز عليه أن يتحكم بغريزة الغضب، وان الحليم هو من يتحكم في توجيه غريزة الغضب؛ إذ لا يستعملها إلا في ظرفها المناسب؛ لأن عدم السيطرة على هذه الغريزة تنفجر على شكل تصرفات غاضبة، وكم من مظلوم تصرف تصرفاً طائشاً، وتحوّل بسبب ذلك التصرف إلى ظالم مدان، فأعطى الفرصة لعدوه، يقول الإمام علي عليه السلام: (إياك، والغضب فأوله جنون وآخره ندم)[١٩]، وإذا انتشر الحلم والورع في صفوف الناس وشاع التسامح والإيمان بالآخر، بين التجمعات الانسانية، وتحول الحلم إلى سلوك اجتماعي عام، اثمر في تحقيق انسجام المجتمع ووحدته، وتوجه جهوده وطاقاته نحو الأهداف السامية الكبيرة، والتحديات الخطيرة.

٤ـ ركيزة السلام ونبذ الحرب:

سال أحد الأشخاص الإمام الرضا ما دفعك لولاية العهد قال عليه السلام: ((حقن دماء أصحابه وأهل بيته، حيث قام المأمون بتقريب الإمام عليه السلام بإعلان العفو العام عن جميع قادة الثورات، منهم زيد أخو الإمام وإبراهيم، وأردف العفو بتنصيب بعضهم ولاة في بعض الأمصار))[٢٠].

لقد أنهكت الصراعات والحروب المتتالية - وهي من جدوى بالتأكيد - الاسلام واغلب شعوب العالم، فصار السلام أمراً يلبي آمال وتطلعات المسلمين والانسانية جمعاء،

ويجعلهم يعيشون حياة هانئة وكريمة بعيدا عن الخوف، فالإسلام يولد التعايش والتسامح والإيمان بالآخر وهذا هو فكر الامام عليه السلام، كما ان الحروب قد تقضي على براءة الأطفال وترعب الكبار، وتدمر الشعوب وتهدّم الحضارات وتدمر المباني والآثار؛ ولهذا سعى الإسلام المحمدي وأهل البيت عليهم السلام إلى السلام ونبذ الحروب، ونشر المحبة والسلام بين المسلمين.

وإن فضل الإسلام على الأديان الأخرى انه يمثل قمة التسامح والإيمان بالآخر، فهو اسم من أسماء الله الحسنى وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتمسك بالسلام، وعدم تخريب الأرض نشر الخوف و ترويع البشر، مهما كان الخلاف مع الآخرين، وقد ورد ذكر لفظ السلام في مائة وثلاث وثلاثين آية قرآنية، والدين الإسلامي خاتم الأديان جامع للتعاليم الواردة في الديانات التي سبقته، في مجال السلم وهو يرادف بين السلم و المسالمة و الإسلام(٢١).

٥ـ ركيزة الحرية وحظر الرق:

نقل هاشم معروف الحسني في كتابه المشهور (سيرة الأئمة الاثني عشر) عن عبدالله بن الصلت قوله كنت مع الامام الرضا عليه السلام في سفرة إلى خراسان فدعا يوما بمائدة له؛ فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم وجلس عليها معهم فقلت له: جعلتُ فداك لو جعلتَ لهؤلاء مائدة فقال عليه السلام: ((ان الرب تبارك وتعالى واحد والأب واحد والأم واحدة والجزاء بالأعمال))(٢٢)، أي مساواة عظيمة واي نبذ كبير للعبودية هذه التي لا تفرق بين العبد وسيده، لقد أكّد أئمة أهل البيت جميعا على نبذ العبودية أيا كان نوعها، وكانوا يؤمنون بالحرية لجميع البشر، وإن احترام الحريات هي أساس التفاضل بين البشر، وقال رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وآله: ((أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى))(٢٣).

فينبغي أن يلتفت: (المسلمون، والمسؤولون، والزعماء، والعلماء والتجار، والموظفون، وسائر الناس)، إلى هذه الأخلاق النبيلة التي اتصف بها رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام إذ جعلوا الحرية هدفاً سامياً في حياتهم مع الناس، فلم يظلموا أحد ولم يتكبروا على عباد الله، وكان موقف الإمام الرضا كموقف جده وأبيه في الايمان بالحرية، ونبذ الرق والعبودية وخير دليل على ذلك زواجه من إماء، وكان غرض الزواج هو تحريرهن من العبودية، كما ورد عنهم أيضا حبهم الرائع للعبيد فقد كانوا يحبهم ويكلمهم بلغاتهم وفيهم

ترك ورسوم وصقالبه فتعجب ابو حمزه نصير من ذلك[٢٤].

لقد ورد ان أهل البيت عليهم السلام كانوا يشترون أعداد مختلفة من الأرقّاء؛ لأجل العتق، وكانوا يعاملونهم بعنوان عامل خدمة، فهم يمكثون مدة من الزمن تحت رعايتهم وتوجيههم، فيهذبون عقائدهم، ويبنون أخلاقهم ثم يعتقونهم، وكانوا يوفرون لهم وسائل الراحة وحسن المعاملة، وكل ما يكفل كرامتهم وحياتهم الإنسانية التي يشعرون بها، حتى يحين أوان تحريرهم؛ ولهذا كان الإسلام المحمدي الدين الوحيد الذي ضيّق دائرة الاسترقاق وجفف ينابيعه، وأنه الدين الوحيد الذي شرّع وسائل شتى لتحرير الرقيق، وشرّع من الوسائل التي تضمن حسن معاملتهم مما يكفل لهم الحياة الإنسانية[٢٥].

لقد حث الإسلام المحمدي على تثقيف المسلمين على أهمية الحرية، واطلاق سراح الاماء، والعبيد من خلال عتق رقابهم، ومنحهم الحرية والتحاقهم بالمجتمع بصورة غير قسرية؛ ومن منطلق حرصه على حرّية الفرد، إذ كان يعطي الأجر والثواب على تحرير العبيد، ومن جانب آخر يعدّ هذا العمل كفّارة لبعض الذنوب والمعاصي، وبهذه الطريقة حرّر الإسلام كثير من العبيد والإماء، وقد نال عدد كبير منهم الحرية والتخلص من وطأة الرقّ والعبودية، وقد نصت المادة (٤) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان على (عدم العبودية ولا الاسترقاق ولا التجارة بالبشر)[٢٦].

٦ـ ركيزة احترام المرأة، والاعتراف بحقوقها:ـ

لقد كان الامام الرضا عليه السلام يقدر المرأة، ويحترمها كثيرا وقد أورد أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) في رواية مفادها إن الامام الرضا عليه السلام،وكانت له جارية يقدرها كثيرا اسمها(تكتم)،وكانت من أشرف العجم، وقالت له والدته حميدة المصفاة: ((يا بني تكتم جاريةً ما رأيت قط أفضل منها، ولست أشك ان الله تعالى سيظهر نسلها ان كان لها نسل، وقد وهبتها لك فاستوص بها خيرا))[٢٧].

لقد كان الامام الرضا عليه السلام يقدر المرأة، ويحترمها بغض النظر عن دينها ولونها وجنسها، فقد كان عليه السلام الرمز المقدس والأنموذج الكامل، والمثال الذي يقتدى في احترام المرأة واحترام حقوقها، وكان عليه السلام القادر على تغيير وجه نظر الآخرين عن المرأة، وعلى تغيير السنن

والانظمة القديمة، والعلاقات الاجتماعية والاخلاق والقيم تجاهها، وهذه الحالة تمثل قمة التسامح والإيمان بالآخر، فقد ورد بالأثر ((حيت جارية من جواري الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بباقة ريحان؛ فرد عليها بأحسن ثناء وقال لها انت حرة لوجه الله، فقال بعض جلسائه لأجل باقة ريحان وواردة حررتها واعتقتها؟ فقال عليه السلام: أدبنا الله تعالى في الآية ٨٦ من سورة الحجرات: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ وكان احسن منها اعتاقها))[٢٨].

أي احترام للمرأة وتقديرها واي تسامح هذا، وايمان بالآخر.

ومن القضايا التي طالما كانت هدفاً لسهام مناوئي الإسلام، هي قضية حقوق المرأة واحترامها والعلاقة الأسرية، حيث يتهم هؤلاء الدين الإسلامي بأنه الدين الذي يصادر حرية وحقوق المرأة، فالمرأة من وجهة نظر هؤلاء تعيش على هامش الحياة، وعليه فالدين الإسلامي هو كما يرون دين رجولي، إن هذه النظرة التهكمية والصورة النمطية، التي رسمها هؤلاء للدين الإسلامي لا تحمل حسن الظن بها، لأنها قد كونت من خلال الرؤية للواقع المزري، الذي يعيشه المسلمون قبل الاسلام، من حيث التعامل مع المرأة، حيث الاضطهاد والنظرة الفوقية التي ينظر الرجل من خلالها نحو المرأة، ولكن هذا خطأ غير صورته الإسلام المحمدي واهل البيت عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء:١٩، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:((رفقا بالقوارير)) وقال ايضا:((وأَكْمَلُ المؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ))[٢٩].

لكن مع الاسف فقد انتشر العنف ضد المرأة اليوم، في مختلف قطاعات المجتمع بغض النظر عن الطبيعة، وكثيراً ما تتنوع دوافع العنف، ولا يمنع حدوثه تقدم بلد او انخفاض نموه، او كون المجتمع من المجتمعات المتحضرة، او المختلفة فالعنف ضد المرأة لا وطن له ولا يقره شرع ولا دين، وقد حرمته شريعتنا الاسلامية السمحاء؛ لأنه يتنافى مع التسامح والإيمان بالآخر، لكن الاحصائيات تشير الى العنف الذي تواجهه المرأة في بلدان مختلفة، ففي فرنسا مثلاً ٩٠٪ من ضحايا العنف هن من النساء، و٥١٪ منهن تعرضن للغرب من قبل ازواجهن، وفي كندا ٦٠٪ من الرجال يمارسون العنف ضد النساء، وفي الهند ٨٠٪ من النساء هم من ضحايا العنف؛ في حين أشارت العديد من الدراسات الميدانية أن اقل الدول عنفاً ضد النساء، هي الدول الاسلامية نتيجة قوانين الشريعة السمحاء تجاه المرأة، ومن يقرأ ما كتبه

العلماء والمؤلفون خلال مسيرة التاريخ الاسلامي، يجد نماذج فاضلة من النساء اللاتي برزن في شتى المعارف والعلوم[٣٠].

التوصيات ونتائج البحث:

١. سيرة الإمام علي بن موسى الرضا علي عليه السلام، كانت استمراراً على نهج المدرسة المحمدية، والتي نجح من خلال شخصيته الفذة أن ينشر مبادئ التسامح والاخر.

٢. حفلت حياة الإمام الرضا عليه السلام بأنواع من المعانات الجهاد والصبر وتحمل جفاء أهل الجفاء، الذي حوله إلى تسامح وايمان بالآخر.

٣. كان الامام الرضا عليه السلام محترماً من أغلب معاصريه وله قاعدة شعبية كبيرة، فكان بحق رجل تسامح وتعايش ثائراً بلسانه وفكره ضد الالغائية .

٤. اهتم بمبدأ التكافل الاجتماعي والمساواة بين الرعاية دون أن يعلموا به.

٥. نجح الامام الرضا عليه السلام في تأسيس حركة فكرية ثقافية واسعة تأمن بالتسامح والاخر.

٦. استطاع الامام عليه السلام ان يقف ضد التيارات الالغائية والمنحرف التي لم يرق له نشر فكرة التسامح والآخر.

٧. اهتم بشكل خاص في شؤون الفقراء والمستضعفين والعبيد، وكان يشتريهم لا لأجل الخدمة وإنما ليعتقهم وهذا الامر اكبر تجسيد لنبذ العبودية وللتسامح والاخر.

٨. حارب الثقافات الإلغائية والمنحرفة التي دخلت على الدولة الاسلامية بسبب الانفتاح الثقافي والتجاري

٩. أسس عدد من المدارس التي خرجت مجموعة من الأفراد تؤمن بالتسامح والإيمان بالآخر.

١٠. وضع مجموعة من الأهداف التي تؤمن بالتسامح والإيمان بالآخر أوكلها الى ابناءه واحفاده فكان بحق اكبر مدرسة بالتسامح والإيمان بالآخر من بعده.

١١. ان سيرة الامام الرضا عليه السلام هي بحاجة إلى مزيد من الدراسة، لأن عاش في عصر حرج جسد فيه التسامح والآخر بأحلى صوره.

١٢.ضرورة أن ندرس شخصية الامام عليه السلام من خلال كونه مدرسة في التسامح والإيمان بالآخر حقنت دماء المسلمين في عصره، فهو بحق ما اشهر رجالات السلام والتسامح في التاريخ الإسلامي.

١٣.وضع مادة دراسية منهجية للطلاب المدراس والجامعات تدرس ثقافة التسامح والإيمان بالآخر لتعزيز القواسم المشتركة بينها، ونشر روح التسامح والإيمان بالآخر في المجتمع.

١٤.تفعيل دور وسائل الإعلام والاتصال المختلفة في إشاعة ثقافة التسامح والإيمان بالآخر بغض النظر عن اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الدينيةالفكرية.١٤-ضرورة إيجاد الأجواء المناسبة في كل مجالات الحياة لتقبل الرأي الآخر، وإشاعة ثقافة التسامح بين أفراد المجتمع.

هوامش البحث

(١) التسامح ليس منة أو هبة، مجموعة من الباحثين، ص ١٥٥).
(٢) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي ج٦، ص٧.
(٣) المعجم الفلسفي: جميل صليبا ،ج١، ص٢٧١)
(٤) الدولة والدين: برهان غليون،، ص٥٨.
(٥) أصول التعايش مع الآخر، ياسين حسين عيسى العاملي، ص١٢)
(٦) جهاد الإمام السجاد: محمد رضا الحسيني الجلالي، ص١٦٨.
(٧) التسامح والإخاء الانساني في الاسلام، محمود قمر ، ص٨٥.
(٨) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري،ج٧، ص١٦٠).
(٩) ميزان الحكمة: الشيخ محمد الريشهري ،ج٣،ص٢٠١٣.

(١٠) أصول الكافي، كليني محمد بن يعقوب ، ج٢، ص١٠٨.
(١١) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي. ج٨، ص٥٢٢.
(١٢) نهج البلاغة ،ج٣،ص٨٤.
(١٣) ثقافتنا بين التعصب والتسامح: جابر عصفور، ص٨٠.
(١٤) تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني ، ص٤٤٣.
(١٥) غرر الحكم ودرر الكلم: جمع عبد الواحد الآمدي التميمي، ص٨٥.
(١٦) عيون أخبار الرضا ٢:١٨٠
(١٧) أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام،السيد هادي المدرسي، ص٢٥٥.
(١٨) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، ٦٣.
(١٩) غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق،ص٨٩.
(٢٠) بحار الأنوار٤٩:١٣٠
(٢١) يسألونك في الدين و الحياة: د. احمد السرباحي، ص٧٩٤.
(٢٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم معروف الحسني،ص٣٥٠.
(٢٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ابو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ج٣،ص١٠٠.
(٢٤) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ابو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي،ص١٥١.
(٢٥) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين: السيد حسن القبانجي، ج٢،ص٤٤٢.
(٢٦) موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية ناظم عبد الواحد الجاسور، ص٢٧٣.
(٢٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام،الشيخ الصدوق،ج١،ص١٤.
(٢٨) قصص الأئمة اسلوب قصصي هادف: فارس الفقيه،،ص٦٨.
(٢٩) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي نور الدين السندي،ج١،ص٥٦٩.
(٣٠) حقوق المرأة، ومسؤولياتها في النظام الاسلامي، اصدار المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية،،ص٢٣١.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١- أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام، السيد هادي المدرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢- أصول التعايش مع الآخر، ياسين حسين عيسى العاملي، دار الهادي، بيروت،٢٠٠٨م.

٣- أصول الكافي، الكليني محمد بن يعقوب ، المكتبة الاسلامية،طهران،١٩٦٨م.

٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار: المؤلف: العلامة محمد باقر المجلسي؛ الناشر: دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة

٥- تحف العقول عن آل الرسول: ابو الحسن بن شعبة الحراني الحسني، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٦٥م.

٦- التسامح ليس منة أو هبة، مجموعة من الباحثين، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٧- التسامح والاخاء الانساني في الاسلام، محمود قمر، عين للدراسات والبحوث الانسانية، والاجتماعية،القاهرة،٢٠١٣م .

٨- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي ت١٤١٨ هـ، مطابع أخبار،بيروت،١٩٩١م،ج٦.

٩- ثقافتنا بين التعصب والتسامح: جابر عصفور، مجلة العربي، العدد ٥٦٧، شباط، ٢٠٠٦م.

١٠- جهاد الإمام السجاد: محمد رضا الحسيني الجلالي، مؤسسة دار الحديث،بيروت،١٤١٤هـ .

١١- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي نور الدين السندي ت١١٣٨هـ، دار الجيل، بيروت،٢٠١٠م.

١٢- حقوق المرأة، ومسؤولياتها في النظام الاسلامي، اصدار المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية،طهران،٢٠٠٦م.

١٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ابو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار السعادة، القاهرة - مصر،١٩٦٩م،ج٣.

١٤- الدولة والدين: برهان غليون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م

١٥- سنن أبي داود السجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث، مركز الدعوة الإسلامية، بيروت، ٢٠١٤م، ج٢.

١٦- سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم معروف الحسني ت١٩٨٣م،منشورات الامام الرضا عليه السلام، بيروت،١٣٨٢هـ،ج٢.

١٧- شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، السيد حسن القبانجي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت،٢٠٠٢م،ج٢

١٨- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى ت٣٨١هـ، دار الكتب العلمية،بيروت،١٤١٨هـ،

١٩- غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الامدي التميمي، دار الكتاب الإسلامي،بيروت،١٤١٠هج .

٢٠- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت٧٠٩هـ)، تحقيق عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت،١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٢١- قصص الأئمة اسلوب قصصي هادف: فارس الفقيه، مؤسسة الأعلمي، بيروت،٢٠٠٧م .

٢٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة: ابو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي،ت٦٩٣،منشورات دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،١٩٨٥م .

٢٣- مستدرك الوسائل: الميرزا النوري ت ١٣٢٠ هـ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٩٨٧م .

٢٤- المعجم الفلسفي: جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني، بيروت،٢٠٠٨م .

٢٥- موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية: ناظم عبد الواحد الجاسور، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان٢٠٠٨م .

٢٦- ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٢هـ،ج٣،ص٢٠١٣.

٢٧- نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدة مفتي الديار المصرية سابقا - دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،١٩٩٧م،ج٣ .

٢٨- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت سنة ١١٠٤هـ)، المكتبة الإسلامية - طهران، تاريخ، ١٩٧٧م.

٢٩- يسألونك في الدين والحياة: د. احمد السرباحي، دار الجيل، بيروت - الجيل، ١٩٨١م